الفصل الثانى

عصر الدولة الوسطى (الرخاء الإقتصادى)

بانهيار الأسرة السادسة الحاكمة في مصر الفرعونية، دخلت البلاد في فوضى عارمة، ظلت هذه الفوضى ممتدة من الأسرة السابعة حتى العاشرة في فترة زمنية لم يرد إلينا منها الكافي من المصادر التاريخية، إلَّا أن علماء التاريخ قد أطلقوا على هذه الفترة اسم (عصر الانتقال الأول أو الاضمحلال، أو اللامركزية).

ظهرت أسرة من اهناسيا (بني سويف) استطاعت أن تسيطر إلى حد ما على البلاد، إلَّا أنها سرعان ماسقطت هي الآخرى.

جاءت طيبة مرة جديدة لتلعب دورها في إعادة توحيد البلاد، وبواسطة أحد أمرائها العظام وهو منتوحتب الثاني، والذي استطاع إعادة وحدة البلاد ونشر الأمن والأمان والاستقرار، واتخذ من طيبة مدينته عاصمة للبلاد.

وبإعادة توحيد البلاد والقضاء على الفوضى بيد منتوحتب الثاني، بدأ عصر الدولة الوسطى، العصر الذي عرف باسم عصر الرخاء الاقتصادي، وترجع هذه التسمية إلى أن ملوك هذا العصر قد اهتموا بإقامة المشروعات الاقتصادية في كل المجالات والتي عادت على البلاد والعباد بالخير والرخاء.

ضم عصر الدولة الوسطى أسرتين، هما: الحادية عشر والثانية عشر.

1- الأسرة الحادية عشر:

يعد الملك منتوحتب الثاني هو رأس هذه الأسرة، وقد تعاقب على حكم مصر من ملوك هذه الأسرة العديد من الملوك الذين حملوا اسم منتوحتب، ونقلت في عهدهم عاصمة مصر إلى طيبة، وأهم ما قام به الملك منتوحتب الثاني هو أنه حد من سلطات حكام الأقاليم وأخضعهم لأمره، مما أدى إلى استعادة المركزية للبلاد مرة أخرى.

2- الأسرة الثانية عشر:

يعتبر عصرها من أزهى عصور مصر الفرعونية، وتعاقب على حكمها العديد من الملوك المشهورين بقوتهم ومشروعاتهم الاقتصادية العملاقة، وقد بدأ عصر هذه الأسرة بالملك أمنمحات الأول، ثم خلفه ابنه سنوسرت الأول.

إلّا أن أشهر ملوك هذه الأسرة على الاطلاق، هما:

أ- سنوسرت الثالث: أحد أعظم حكام مصر في تاريخها، وشهد عصره مشروعًا ملاحيًا عملاقًا، وهو ما عرف بقناة (سيزوستريس)، تلك القناة التي حملت نفس فكرة قناة السويس الحالية، إلّا أن الفرق بينهما هو أن قناة (سيزوستريس) لم تربط بشكل مباشر بين البحرين الأحمر والمتوسط مثلما الحال في قناة السويس، وإنما ربطت بينهما من خلال ربط البحر الأحمر بنهر النيل بواسطة قناة (سيزوستريس)، ونهر النيل بدوره متصل بمصبه في الشمال وهو البحر المتوسط.

كان لهذه القناة الجديدة أثر بالغ الأهمية في زيادة النشاط التجاري بين مصر وجيرانها وخاصة بلاد فينيقيا (سوريا الحالية).

عُـرِفَ عن الملك سنوسرت براعته في الحرب وشجاعته، واستطاع أن يفرض سيطرته على كل البلاد، ويؤمن حدودها خاصة الحدود الجنوبية.

ب- أمنمحات الثالث: أحد أشهر ملوك الأسرة الثانية عشر، وكان جل اهتمامه مُنصَبْ على المشروعات الاقتصادية خاصة تلك

التي تخدم الري والزراعة، ومن أبرز مشروعاته سد اللاهون الذي بناه في منطقة الفيوم لغرض حماية الفيوم من مياه الفيضان وزيادة الرقعة الزراعية بواسطة المياه المخزنة.

اهتم كذلك بالعمران، وشيَّد هرمًا له بالقرب من الفيوم، كما شيَّد معبدًا ضخما في الفيوم هو معبد (اللابرنت)، (la byranthos)، ووصف هيرودوت المعبد بأنه يتألف من طابقين، وكان يضم ثلاثة ألاف غرفة، نصفها فوق الأرض ونصفها تحتها، ويبدو أن كثرة الغرف والحجرات بالمعبد دفعت البعض ليطلق عليه اسم (قصر التيه).

انتهى حكم الأسرة الثانية عشر، وانتقل العرش إلى ملوك أسرة جديدة هي الأسرة الثالثة عشر، ولكن الطريقة التي تم بها ذلك غير معروفة لنا، وسرعان ما حل الضعف بالبلاد، فحلت بمصر فترة من أصعب فتراتها على مر تاريخها، وهي ماعرف بمحنة الهكسوس.

• محنة (غزو) الهكسوس:

في ظل حالة الفوضى التي عمت البلاد في عصر الأسرة الثالثة عشر، أصبح المناخ مهيئًا للهكسوس للانقضاض على مصر، وبعد

أن احتلوا مصر السفلى و الوسطى، وعجزوا عن احتلال مصر العليا (جنوب الصعيد)، أقاموا مملكة لهم على الأرض التي احتلوها.

والهكسوس هم قبائل رعوية غزت مصر من ناحية الشرق، وقد تفوقوا على المصريين عسكريًا بشكل واضح، ويرجع السبب في ذلك إلى كثرة أعدادهم، وامتلاكهم لسلاح جديد لم يره الجيش المصري من قبل، وهو ما عرف بالعجلات الحربية التي تجرها الخيول.

اتخذ الهكسوس من مدينة أواريس (الزقازيق) عاصمة لدولتهم التي أقاموها في شمال ووسط مصر، وكان احتلال الهكسوس لمصر نكبة ومحنة كبيرة على مصر والمصريين، وأطلق المصريون على هؤلاء الغزاة لقب (عامو) والتي تعني الملوك الرعاة.

أساء الهكسوس معاملة المصريين، ولم يحترموا مقدساتهم، وحاول المصريون التخلص من احتلال الهكسوس مرارًا وتكرارًا، ولكن انتهت محاولاتهم إلى الفشل، حتى عادت طيبة من جديد.

• حرب التحرير:

حمل أمراء طيبة لواء الكفاح لتحرير البلاد من الهكسوس، وعلى مر التاريخ كانت طيبة (الأقصر) عامرة بالأمراء المخلصين للوطن،

وقد ارتبط الكفاح ضد الهكسوس باسم أحمس، إلَّا أننا لا يجب أن نغفل أن أبيه (سقنن رع) وأخيه (كامس) قد سبقاه في الكفاح ضد الهكسوس، إلَّا أنهما قد قتلا في حروبهما ضد الهكسوس في الوقت الذي كان أحمس فيه مازال صغيرا.

كان للملكة اياح حتب دورًا عظيمًا في تربية ابنها أحمس تربيًة جعلت منه هذا الفارس الشجاع البطل الذي استطاع هزيمة الهكسوس بعد أن أعد لهم جيدا، وجهز جيشه بالعجلات الحربية.

هزم أحمس الهكسوس في مصر ولاحقهم حتى أخرجهم من البلاد نهائيًا، وتعقبهم إلى فلسطين وحاصرهم لمدة ثلاث سنوات في حصن لهم يعرف بحصن (شاروهين).

ورغم أن مصر وشعبها لديهما القدرة على استيعاب أي هجرة تنزل بمصر، إلَّا أن وضع الهكسوس كان مختلفًا، فلم يختلطوا بالمصريين رغم أنهم تأثروا بالمصريين في عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم وملابسهم.

على أي حال، وبانتصار أحمس على الهكسوس واستعادة السيطرة الكاملة على كل شبر من أرض مصر، يبدأ عصر الدولة الحديثة أو ما عُرِفَ بعصر المجد الحربي.